

عشر سنوات وما زال الجرح مفتوحاً: أحداث أكتوبر 2000 وانعدام المساءلة\*

جنان عبده

لقد جاءت أحداث أكتوبر 2000، وما شملته من احتجاج جماعيّ، وما تلاه من ردّة فعل المؤسسة الحاكمة، لتؤكد حقيقة أنّ الخطّ الأخضر هو خطّ وهميّ لا يفصل بين أبناء وبنات الشعب الواحد، وكذلك لتؤكد أنّ إسرائيل تتبع النهج نفسه والسياسة نفسها في تعاملها مع الفلسطينيين من كلا طرفي الخطّ الأخضر. وبذلك لم تجدد إسرائيل في سياساتها تجاه الفلسطينيين منذ النكبة مروراً بيوم الأرض وأحداثه الدامية كذلك، إلا أنها وضحت أنها لا تتورّع عن أيّ فعل، بما في ذلك القتل بدم بارد، لتقمع "مواطنيها" الفلسطينيين. وتؤكد تقارير الرصد السياسيّ المتعاقبة، التي يصدرها مدى الكرمل منذ تلك الفترة، أنّ إسرائيل تتجه صوب تعميق الفجوة وزيادة عنصريّتها تجاه مواطنيها العرب، متسلّحة بقوانين جديدة تسبّحها كمشروع "تعديل قانون المواطنة" وبمشاريع قوانين أخرى كاشتراط المواطنة بالولاء، وقانون النكبة. يضاف إلى ذلك محاولات محو الهوية القوميّة والذاكرة الجماعيّة، وطمس معالم المكان والزمان، وتقييد الحرّيّة والحركة والنشاط السياسيّ وملاحقة قيادات العمل الوطنيّ وتصعيد حملة الاعتقالات السياسيّة، علاوةً على انتشار الأجواء العامّة المعادية للعرب.

فماذا حدث في أكتوبر 2000؟ وكيف كانت ردّة فعل المجتمع بأفراده ومؤسساته على تلك الأحداث؟

28.9.2000: أرنييل شارون- زعيم المعارضة آنذاك -وكتحدّد لمفاوضات كامب ديفيد الثانية آنذاك، يقوم بزيارة استفزازيّة إلى الحرم القدسي الشريف بمرافقة عشرات من أفراد قوّات الأمن الإسرائيليّة. وقوّات الأمن تطلق النيران على المتظاهرين الذين خرجوا للاحتجاج على ذلك، وتُردّي الكثيرين من القتلى والجرحى، ممّا أدّى إلى اندلاع انتفاضة الأقصى في الضقة والقطاع.

• في الداخل، يُعلن الإضراب العامّ، في الأوّل من تشرين الأوّل، بدعوة من لجنة المتابعة العليا للجماهير العربيّة في إسرائيل، تضامناً مع أبناء شعبنا في الأراضي المحتلة عام 1967، فتنطلق المظاهرات الاحتجاجيّة في غالبية القرى والمدن العربيّة في إسرائيل.

• الشرطة تردّ بالعنف على المتظاهرين، وتطلق النار مستعينة بقناصة. في ما بين الأوّل والثامن من أكتوبر، يُقتل ثلاثة عشر شاباً عربياً ويُجرح العشرات، إلى جانب اعتقال المئات من المواطنين العرب. غالبية الإصابات

تراوحت بين رصاصات في الرأس، وفي العنق، وفي الصدر والبطن. تراوحت أعمار 12 منهم بين 17 و 25 عامًا، وأحدهم كان في الثانية والأربعين.

- ممثلون عن لجنة المتابعة يجتمعون مع رئيس الحكومة إيهود باراك ووزير الأمن الداخلي شلومو بن عامي، في محاولة لتهدئة الأوضاع، إلا أن الاجتماع يفشل بسبب سقوط المزيد من الشهداء والجرحى.
- عدّة مؤسسات وأطر حقوقية وسياسية، من بينها "عدالة" ومحامون آخرون كممثلين عن ذوي الشهداء، تتوجّه إلى وحدة التحقيق مع الشرطيين (ماحش) في وزارة القضاء، لفتح تحقيق فوريّ في الموضوع. بينما لم تبادر "ماحش" بنفسها إلى ذلك، ولم تقم باتخاذ إجراءات مجدية أو بإجراء تحقيق جديّ في الأمر كما يتطلب القانون. بعض الأوساط السياسية العربية والأطر التمثيلية، وذوو الشهداء، وبعض الأوساط اليهودية اليسارية، طالبت بعد الهبة بإقامة لجنة فحص أو تحقيق من أجل كشف المسؤولين عن تطوّر الأمور على ذلك النحو العنيف. إزاء هذا المطلب، أعلن إيهود باراك رئيس الحكومة آنذاك عن إقامة "طاقم فحص" استبدل بعد مضيّ ثلاثة أسابيع بلجنة "تقصّي حقائق" برئاسة القاضي المتقاعد شالوم برنر. إلا أن القيادات العربية أعلنت عن رفضها لهذه اللجنة وعدم استعدادها للتعاون معها، لكونها منزوعة الصلاحيات، ممّا حدّدًا باللجنة إلى إعلان استقالته بعد أن أوصلت باستبدالها بلجنة تحقيق رسمية. إثر ذلك، وبعد تزايد حدة المطالبة العربية بإقامة لجنة تحقيق رسمية، أعلن براك في 8.11.2000 - عن تشكيل لجنة تحقيق رسمية برئاسة قاضي المحكمة العليا ثيودور أور (ومن هنا أطلق عليها: "لجنة أور").
- في 27.2.2002، وجّهت اللجنة تحذيرات لثلاثة من القياديين العرب، متهمّة إيّاهم بالتحريض على العنف، وهم: الشيخ راند صلاح رئيس الحركة الإسلامية الخارج برلمانية؛ النائب عزمي بشارة رئيس التجمّع الوطني الديمقراطي؛ النائب عبد المالك دهامشة من القائمة العربية الموحّدة.
- أيلول 2003: لجنة أور تقدّم تقريرها، وتوصي بأن تواصل "ماحش" (وحدة التحقيق مع رجال الشرطة) التحقيق في ظروف قتل الشبان الثلاثة عشر وجرح المئات. اللجنة تُقرّ خرق الشرطة للقانون باستعمال الرصاص المعدني المغلف بالمطاط، والرصاص الحي، والقنّاصة، لتفريق المظاهرات. اللجنة ذاتها توصي بأن يُفتح ملفّ تحقيق جنائيّ في حالات القتل.
- أيلول 2005: تصدر "ماحش" تقريرها حول توصيات لجنة أور. "ماحش" تقرّر عدم تقديم أية لائحة اتّهام ضدّ أيّ من الشرطيين، بل تبرّر وتشرّع عن استعمال أفراد الشرطة والقنّاصة للأسلحة الحية، والمعدنية المغلفة بالمطاط. "ماحش" تغلق جميع الملقّات بدعم من مناحم مزوز مستشار الحكومة القضائيّ آنذاك.

- تشرين الأول/أكتوبر 2006: "عدالة" تصدر تقريرها بعنوان "المُتهمون" كردّ على تقرير "ماحش". أشار التقرير إلى الإهمال المتعمّد في عمل "ماحش" في القيام بواجبها بالتحقيق، ولجئها الى إخفاء حقائق جوهرية عن أعين الجمهور. التقرير يوصي بالتحقيق في إهمال وتقاغس "ماحش"، ويوصي بتنحية جميع المسؤولين عن ذلك، وعلى رأسهم عيران شندار (رئيس "ماحش" آنذاك).
- كانون الثاني 2008: المستشار القضائيّ يقدّم تقرير اللجنة التي أقامها خصيصًا لفحص ومناقشة كيفية تعاطي "ماحش" مع التحقيق في أحداث أكتوبر. التقرير يتجاهل توصيات لجنة أور وتوصيات تقرير "عدالة"، ويعيد تأكيد موقف "ماحش" الذي يبرّر استعمال الشرطة والفنّاصة الرصاص لوجودهم "في وضعيّة خطر" -على حدّ تعبير نصّ التقرير.
- الشرطة و "ماحش" والمستشار القضائيّ كلهم أغلقوا الملفّ من جهتهم. لكن الملفّ بقي مفتوحًا من جهة الجماهير العربيّة وقياداتها ومؤسساتها. واليوم، وبعد مرور عشر سنوات، ما زال المطلب قائمًا بوجوب التحقيق في الأدلّة، وفي عمل "ماحش"، وفي عمل مستشار الحكومة القضائيّ السابق والمدّعي العامّ الأسبق.

جنان عبده- محرّرة مساعدة/مجلة "جدل" ومنسقة أنشطة في "مدى الكرمل"

### مصادر معتمّدة في هذا التقرير:

ينظر في تقارير الرصد السياسيّ الصادرة عن "مدى الكرمل": <http://www.mada-research.org/?LanguageId=2&System=Category&MenuId=31&PMenuId=20&MenuTemplateId=1&CategoryId=27>

عشر سنوات على أكتوبر 2000- غياب العدالة. تقرير عدالة- المركز القانونيّ- للتوسّع في هذا الشأن، يُنظر: <http://www.adalah.org/ara/october2000/accountability.html>

دور الجمعيات الأهلية في هبة أكتوبر 2000: نماذج من العمل ودروس مستفادة. ص 83-89. آفاق العمل الأهلي الفلسطيني: اجتهادات جماعية. (2003). إصدار: اتجاه - اتحاد جمعيات أهلية عربية، حيفا.

قضايا جمعية - نشرة العمل الأهلي - العدد السادس، (شتاء 2009-2010)، إصدار اتجاه.

نبيل الصالح ونمر سلطاني، 2003، "موقف الأقلية العربية في إسرائيل من لجنة أور"، سلسلة استطلاعات رأي الفلسطينيين في إسرائيل، استطلاع رقم 2، مدى الكرمل، حيفا.

[http://www.mada-](http://www.mada-research.org/?LanguageId=2&System=Item&MenuId=21&PMenuId=21&MenuTemplateId=3&CategoryId=21&ItemId=253&ItemTemplateId=1)

[research.org/?LanguageId=2&System=Item&MenuId=21&PMenuId=21&MenuTemplateId=3&CategoryId=21&ItemId=253&ItemTemplateId=1](http://www.mada-research.org/?LanguageId=2&System=Item&MenuId=21&PMenuId=21&MenuTemplateId=3&CategoryId=21&ItemId=253&ItemTemplateId=1)